



**دراسة نقدية لكتاب  
الأمين أبو منقعة ، لغة الهوسا في  
السودان وسبل استيعابها للمؤثرات  
العربية  
كولون : دار نشر روديفر كوبي ١٩٩٩ (٢١٥ صفحة)**

بقلم دكتورة/كاترين ميلر \*

ترجمة الأستاذة / حفيظة عبدالقادر بابكر \*\*

Al- Amin Abu-Manga .Hausa in the Sudan: Process of Adaptation to Arabic , ( Westafr Studien vol.18)Cologne(Koln): Rudiger Koppe Verlage, 1999,215 pp. incluant une carte et des tableaux , DM 68. ISBN 3-89645- 105- Arabica , XLIX , 1.2002

يتابع البروفيسور الأمين أبو منقعة أبحاثه اللغوية والتاريخية منذ سنوات عديدة عن المجموعات السكانية المهاجرة من غرب إفريقيا في السودان ، ويعتبر هذا الكاتب أحد المتخصصين النادرين في هذا المجال ، ويأتى هذا العمل بعد قائمة طويلة من الأعمال العلمية المنشورات ، من كتب ومقالات ( انظر بالأخص : أبو منقعة (١٩٨٦) الذى يتناول سبل استيعاب لغة الفلغلدى للمؤثرات العربية في السودان ) فمن الواضح أن المؤلف يتقن موضوعه بصورة جيدة ، كما أن الكتاب يتميز بتماسك البنية وتناسق التوبيخ ، متضمنا مواد لم تنشر بعد في مجال لم يطرق إلا بالقدر اليسير ومن ذلك الاتصال والاقتراض والتداخل بين اللغة العربية ( فى صورتها الفصحى أو فى صورة لهجاتها المختلفة) وبين اللغات الإفريقية ، وتمثل الهوسا هنا حالة خاصة بحكم أنها عرفت أنواعا كثيرة من الاتصال مع اللغة العربية : اتصالا قديما فى غرب إفريقيا ممتدا من القرن الرابع عشر إلى يومنا هذا ، واتصالا حديثا نسبيا تم خلال المائة وخمسين عاما الماضية ، وللنوع الأخير من الاتصال مردود لغوى ولغوى اجتماعى أكثر فعالية وذلك لارتباطه

• باحة بمعهد الدراسات حول العالم العربي والإسلامي جامعة إكس أون بروفنس ، فرنسا  
• محاضر بقسم اللغة الفرنسية ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم

رسائل إفريقية ٣٦٩

باستقرار مجموعات من الهوسا فى جمهورية السودان الحالية تحت تأثير وسيادة اللغة العربية.

ويعرض لنا الكاتب بايجاز تاريخ هجرة هذه المجموعات من غرب إفريقيا إلى السودان : أهميتها الديمغرافية ( السكانية ) وخصائصها الاجتماعية ، والجوانب المختلفة لآثارها اللغوية الاجتماعية ، ولعل أهم هذه الآثار هو اكتساب الهوسا السودانيين اللغة العربية لغة ثانية واستيعاب لغتهم الهوسية ذخيرة لغوية عربية ضخمة ميزتها عن نظيرتها فى غرب إفريقيا ، فتحت هذه الظروف صار الهوسا السودانيون يتحدثون كلتا اللغتين العربية والهوسية ( بطابع عربى ) بمقدرات متفاوتة حسب متغيرات اجتماعية واقتصادية ثقافية معينة متعلقة بكل متحدث ، ومن هذا يتضح أن الهوسا فى السودان لايمثلون مجموعة لغوية متجانسة ، وقد حاول الكاتب جمع مادة بحثية غزيرة حول أداء مجموعات مختلفة من متحدثى الهوسا فى مناطق كثيرة ومتباعدة فى السودان اعتبرهم الكاتب عينة تمثل درجة متوسطة من حيث مستوى تعريبهم arabisation

وقبل أن يعالج الكاتب موضوعه الأساسى ، وهو تكييف الهوسا مع اللغة العربية فى الوسط السودانى ، تناول فى الجزء الأول من الدراسة مظاهر علاقة الاشتراك فى الأصول بين اللغتين المعنيتين ، أى العلاقة الجينية بينهما ، حيث تنتمى لغة الهوسا إلى فصيلة اللغات التشادية ، وتنتمى العربية إلى فصيلة اللغات السامية ، وتنضوى كلتا الفصيلتين تحت أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية ، ويشير الكاتب إلى صعوبة التمييز فى كثير من الحالات بين السمات الموروثة من التراث المشترك ، وبين تلك الناتجة عن اقتراض الهوسا من العربية من خلال الاتصال الذى حدث بينهما عبر القرون ، ثم يعرج بعد ذلك إلى وصف الظروف التاريخية التى تم فى ظلها الاتصال بين اللغتين مع ذكر المجالات المختلفة ( الحقول الدلالية ) التى أخذت فيها الهوسا ألفاظا من العربية ، ولعل أبرزها مجال الدين والتجارة ، ومما كان مثيرا للجدل بين الباحثين فى هذا الشأن ما كان متصلا بمصادر الاقتراض ، أى التمييز بين ما هو مقترض من الفصحى وما هو مقترض من العامية (غرينبيرج ١٩٤٧ ، هسكت ١٩٦٥ ، فيكسلر ١٩٨١) ورغم أن جل الألفاظ العربية المقترضة فى الهوسا قد أخذت من مصادرها العربية المباشرة ، إلا أن بعضها قد وجد طريقه إلى الهوسا عبر لغات وسيطة ، وهى كبرى اللغات التواصلية والتجارية فى تلك النواحي من إفريقيا ، كاللغة البربرية والكانورية ولغة صنغاي ، لذلك يؤكد الكاتب أهمية النظر إلى دور اللغات الوسيطة عند دراسة عملية الاقتراض اللغوى ، ومن الممتع

دراسة نقدية لكتاب الأمين أبو منقفة

فى هذا الكتاب ما جاد فى وصف الجو الدينى الإصلاحى الذى انتظم بلاد الهوسا فى القرن التاسع عشر ( حركة جهاد الشيخ عثمان بن فودى ) والذى تطور عنه أدب إسلامى مكتوب باللغات المحلية ( فلفلدى وهوسا ) متفرعا من الأدب العربى الإسلامى ، ومن ثم استيعاب هذه اللغات لقدر كبير من الألفاظ العربية وانتشار هذه الألفاظ شفاهة فيما بعد ، إلا أننى أحسب أن أية دراسة حول الاتصال اللغوى يجب ألا تقتصر على استخراج قوائم من المفردات المقترضة دون البحث فى الظروف التاريخية التى حدث تحتها هذا الاتصال وإن كان الكاتب قد نجح فى تناوله لموضوع الاتصال بين اللغتين الهوسا والعربية فى غرب إفريقيا إلا أننا نأسف فى الوقت نفسه لغياب المراجع التوثيقية لبعض المسائل التى طرحت بصورة عاجلة ، كمسألة تطور اللهجات المغربية أو مسألة تمييز المذكر والمؤنث فى العربية العامية والفصحى ، وكذلك كان من الأجدى لو قام الكاتب بإجراء مقارنة شاملة مع لغات غرب إفريقيا الأخرى فى هذا المجال ، ولكن بما أن هذا الجزء من الدراسة لا يمثل الموضوع الأساسى الذى يسعى الكاتب لمعالجته فإن هذا النقد لا يقلل من قيمة الكتاب .

إذا فإن الاتصال بين اللغتين الهوسا والعربية فى غرب إفريقيا يتمثل فى اقتراض مكثف للمفردات العربية دونما تأثير صوتى أو صرفى واضح على اللغة المتلقية على أن الوسط السودانى يعرض لنا حالة للاتصال بين اللغتين المعنيتين مختلفة تمام الاختلاف عن نظيرتها فى غرب إفريقيا ، وذلك لأن الهوسا هنا ليست سوى لغة أقلية فى بيئة متعددة اللغات تسيطر فيها اللغة العربية ، ويشير الكاتب فى هذا السياق الى أن كثافة الاتصال وحيويته ( حالة السودان ) أقوى أثرا من طول مدته ( حالة غرب إفريقيا ) لذلك فإن تحليل الألفاظ المقترضة فى الهوسا فى غرب إفريقيا يقودنا إلى استجلاء بعض المعالم الأثرية ( الأركيولوجية ) للاتصال بين اللغتين ، بينما نجد أنفسنا فى حالة السودان حيا لظواهر حية مباشرة ومتجددة ، وقد تمكنت الهوسا هنا من استيعاب كثير من الظواهر اللغوية العربية ، مثل نزوع الهوسا المستعمرين إلى تحقيق الصوتين الطبيين الخاء والغين بصورة سليمة ، ويليهما فى ذلك مجمل المتحدثين للهوسا ، كل حسب درجة استعراجه ، ويتبنى الكاتب فى الجزء الثانى من الدراسة ( أى المتعلق بالسودان ) نهجا منظما متماسك البنية ، مستعرضا مظاهر التكيف الصوتى والصرفى والدلالى ، ومن المؤكد أن المحافظين من الباحثين سيلاحظون عدم إيراد الكاتب لإحصائية حديثة فيما يتصل بنسبة الألفاظ العربية المقترضة فى الهوسا السودانية ، ولكن السؤال الذى يطرح

نفسه هو : كيف يتسنى تحديد ظاهرة مازالت جارية وفي حالة انتشار وتجدد ، وتفاوت حسب المتحدثين باللغة من حيث درجة تعرضهم للغة الثانية( أى العربية)؟ وتوضح الأمثلة العديدة الواردة فى الدراسة مدى تأثير الاتصال المباشر والثنائية اللغوية فى كثافة استيعاب الهوسا للألفاظ العربية فى السودان ، فهناك عدد من الصوامت العربية التى اندمجت تماما فى النظام الصوتى للهوسا السودانية ، كما أن كثيرا من اللواحق الهوسية ما عادت تلحق تلقائيا بالمفردات العربية المقترضة ، وأن كثيرا من الأسماء المقترضة لا تجمع وفقا لصيغ الجمع الهوسية ، كما هو الحال فى غرب إفريقيا ، بل تقترض وتستخدم بصيغ جمعها العربية ، وبنفس القدر فإن النظام النغمى tonal system فى الهوسا قد تكيف على النظام النبرى Stress system فى اللغة العربية ، بحيث نجد أن كل مقطع منبور فى الكلمة العربية المقترضة فى حالة الافراد يلحق بنغمة صاعدة ، وإلى جانب الأسماء التى تشكل الغالبية العظمى من الألفاظ المقترضة هناك أيضا كثير من أنوات العطف والظروف العربية التى تستخدم جنبا إلى جنب مع نظيراتها الهوسية ، وتشكل الأفعال أيضا نسبة عالية نسبيا (١٩٣٪) من جملة هذه الألفاظ ( حول النسبة المئوية للأفعال المقترضة انظر أوينز ) إلا أن هذه الأفعال تنكيف تماما على الأنماط النحوية ( التركيبية) للغة الهوسا وتصرف كما تصرف الأفعال الهوسية ، فإذا يبدو أن عمليتى استيعاب كل من الأسماء والأفعال يتبعان نهجين مختلفين لحد كبير ، وكذلك أورد الكاتب أمثلة مثيرة للاهتمام حول التكيف الدلالى للألفاظ العربية المقترضة فى الهوسا والذى ينحو فى معظم الأحيان فى اتجاه تخصيص المعنى ، بحيث تستخدم الكلمات المقترضة للمعنى المخصص الضيق بينما يحتفظ مقابلها الهوسى بالمعنى العام أما الأمثلة الكثيرة للتركيب العربية المترجمة حرفيا إلى الهوسا فتساعد فى التمييز بين الهوسا المتحدثين فى السودان وتلك المتحدثين فى غرب إفريقيا ، وتمثل ظاهرة ملفنة للانتباه ، ففى هذه التراكيب نجد أن كل كلماتها هوسية صرفة إلا أن المفاهيم عربية ، لذلك فلا يهتدى الى معناها إلا من كان ثنائى اللغة ( أى الذى يجيد كلتا اللغتين الهوسية والعربية ) فتتم كل الظواهر المشار إليها عن ديناميات لغوية مختلفة لحد ما : ألفاظ مقترضة مكثفة على الأنماط الصوتية والصرفية الهوسية ( الأفعال ) وألفاظ مقترضة محتفظة جزئيا بسماتها الصرفية العربية ( التركيب المقطعى وصيغ الجمع العربية ) وعبارات عربية مترجمة حرفيا إلى الهوسا ، وكل هذا يعطى القارىء - وبصورة مثيرة للإعجاب - فرصة للتأمل فى الكيفية التى يمكن أن تخترق بها لغة معينة بواسطة لغة أخرى ذات سيادة، وفيما يخص الاستعراب المتنامى

دراسة نقدية لكتاب الأمين أبومنقفة

وسط المتحدثين بالهوسا ، تطرق الكاتب إلى ظاهرة لا يستبعد وقوعها فى المستقبل القريب ، وهى تهجين الهوسا pidginisation ويبدو لى أن هذا المصطلح غير مناسب للوسط الموصوف ، لا اجتماعيا ولا لغويا ، ومن المؤسف أن الكاتب رغم سعة درايته بمجتمع بحثه ودقة معلوماته لم يتخذ موقفا واضحا حيال الجدل النظرى الجارى حاليا حول المسائل المتعلقة بالتماس اللغوى وإعادة تشكيل الحصيلة اللغوية re-lexification وظاهرة التحول من استخدام لغة إلى غيرها أثناء الحديث code-switching على أية حال إن هذا الكتاب رفيع المستوى ، ويجب أن يكون مثار اهتمام كل من المتخصصين فى الدراسات الافريقية ، والمتخصصين فى الدراسات العربية ، واللغويين الذين يبحثون فى ظاهرة التماس اللغوى ، فى أن واحد ، أما بالنسبة للمتخصصين فى الدراسات العربية فيجب أن يلفت بصورة خاصة الباحثين المهتمين بسبل انتشار اللغة العربية فى الحقب السالفة والحديثة ، أو الذين يعملون فى مجال اللهجات الهامشية والثنائية اللغوية ، عليه يمكن إدراجه مع جملة أعمال العالم اللغوى الشهير جوناتان أوينز حول اللغة العربية فى نيجيريا ( أوينز ١٩٩٢ ، ١٩٩٨ ، ٢٠٠٠ ) التى تصف لهجة عربية لمجموعة صغيرة من السكان وسط أغلبية غير عربية ،

المراجع الواردة فى المقال:

Abu-Manga.A.A.Fulfulde in the Sudan : rocess of Adaptation to Arabic Berlin: Dietrich Reimer , 1986

Greenberg.J. " Arabic Loan-words in Hausa ,World iii-1-2,pp.85-97,1917

Hiskett, M. " The historical background to the naturalization of Arabic loan-words in Hausa" African Language Studies VL.pp. 18-26, 1965

Owens, J. A Grammar of Nigerian Arabic , Wiesbaden , Harrasowitz , 1993.

\_\_Neighborhood and Ancestry . Variation in Spoken Arabic of Maiduguri, Nigeria, Amsterdam : John Benjamins Publishing Cie , 1998

\_\_" Loanwords in Nigerian Arabica quantitaive approach" . In J. Owens (ed) Arabic as a Minority Language .Berlin, Mouton de Gruyter , 2000,pp. 259-345.

Wexler , P. Problems in monitoring the diffusion of Arabic into West and Central African languages " Zeitschrift der deutschen Morgenlandischen Geseuschaft 130,pp.522-556